مشكلة

الامام الغائب

وحلها

يبحث عن مشكلة الحجة المنتظر وما فيها
من صور التعقيد ، ثم يحلها على ضوء العلم
والدين والوجدان ، باسلوب سهل واضح
ويتعرض فى عبر البحث الى نقاط تهم
الموضوع العام (الامامة) .

محمد جمال الهاشمى

مطبعة النجف ـ النجف

١٣٧٨ هـ ـــ ١٩٥٨ م

مشكلة

الامام الغائب

وحلها

يبحث عن مشكلة الحجة المنتظر وما فيها
من صور التعقيد ، ثم يحلها على ضوء العلم
والدين والوجدان ، بأسلوب سهل واضح
ويتعرض في غير البحث الى نقاط تهم
الموضوع العام (الامامة) .

محمد جمال الهاشمي

مطبعة النجف ـ النجف

١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله على محمد وآله الأئمة المعصومين ... ، لقد حثني على تأليف هذه الرسالة الاصداء الموحشة التي طبقت الاجواء الفكرية في عصرنا المثقف ، حتى اصبح يشك في المواضيع الدينية كل من عاش في هذه الاجواء الخانقة ، ولما كان موضوع (الامام الغائب) عجل الله ظهوره من اعقد المواضيع المذهبية ، لانه يقع في متناول كل ناقد يريد النيل من مذهبنا الحق ، مع كونه يقف في صف ضروريات المذهب . الامر الذي يصبح المنكر له خارجاً عن المذهب ، لان المذهب يقوم بضرورياته ، فالمنكر لاحدى الضروريات منكر للمذهب نفسه ، وهو كارثة مذهبية يجب تداركها ،

خصوصاً واني اعتقد ان انكارهم له ينشأ من عدم وعيهم الموضوع وعياً يؤمن به وجدانهم ، وذلك ذنب مرجعه الينا نحن رجال الدين ، ولذلك اقدمت لاسقط الواجب عن اخواني اهل العلم بتأليف هذه الرسالة ، مع ضيق الوقت ، وقلة المصادر التي تبحث عن هـــذا الموضوع بحثاً وجدانياً يساعدني على مؤاني ، ولـكني خضت العباب الهائج بسفينتي المحطمة سائلا من الله التوفيق ، ومن صاحب الامر « الذي اقدم اليه رسالتي هذه وسيلة ارجو بها شفاعته يوم الحساب » التوجيه الى شاطي السلامة .

النجف الاشرف محمد جمال الهاشمي

اخي المؤمن :

إن موضوع الامام الغائب فرع من دوحة الامامة ، ولذلك ولكي نعي الموضوع وعياً كاملا يلزمنا ان نعي موضوع الامامة نفسه .

واحتياج الامة الى الامام امر عقلي وجداني ، يدركه من يتأمل في المجتمع البشرى واختلاف آرائه واهوائه ، وتصادم آماله واعماله . الامر الذي يؤدي الى الفوضى والشغب الدائم ، فكان من الواجب على الله العادل الحكيم ان يتلطف على عباده بتوجيههم الى صراط الحق ، وان يمنعهم من التردي في الباطل ، ولا شك بان التوجيه يلزم ان يكون طبيعياً يقبله المجتمع العام بلا ارتياب وتردد منه فيه ، والتوجيه الطبيعي يتحقق بايجاد زعيم حاز على مؤهلات الزعامة كلها ، لكي تخضع له الجماهير على اختلاف مراتبها في الاجتماع ، ليتمكن من توجيه دفة سفينته الى شاطىء الكمال ، وعلى هذا البناء العرفي يقوم كيان (قاعدة اللطف) ، وعلى قاعدة اللطف

استقام بناء النبوات العامة ، وعليه ايضاً تبني الشيعة ناموس وجوب وجود الامام في كل دور وطور .

اما القائد . ولنسميه من الان فصاعداً (بالامام) لانه العنوان الديني الذي تطلقه الشيعة على قائدها الديني العام ولا شك باننا نبحث عن القيادة الدينية في دنيا العقيدة . نعم اما الامام فيجب ان يحوز على كفاءآت اساسية يستحق بحيازتها الامامة ، تجمعها شروط خمسة دار عليها فلك الامامة .

اولا : العصمة . والعصمة ملكة طبيعية في الامام تحرسه من المعاصي والآثام ، كما تحرسه من الاهمال بالوظائف المقررة في الدستور العام . تحرس نواياه ، وهواجسه ، كما تحرس اقواله واعماله ، ومعنى الملكة هنا ان له صارفا نفسياً عن تجاوز فكره وعمله حدود الدستور وان كان مقتدراً عليها لو ارادها ، وهو امر معقول ، مثاله في العرف .. ان الرجل الشريف ليمتنع عن اللصوصية والجريمة لصارف نفسي عنده ، مع تمكنه منها لو ارادها . والفرق بين هـــذا الرجل الشريف وبين

الامام عليه السلام ان امتناع الشريف عنها امر ليس بضروري له ، بل هو امر ممكن ذاتاً قابل للوجود والعدم ، اما امتناع الامام منها فهو واجب ذاتي له غير قابل للتخلف اصلا ، وبهذه الحقيقة امتاز الامام على غيره من الامة .

واما علة جعل العصمة شرطاً للامامة . هو ان افراد الامة كلها يمكن ان يقع منها ما ينافي مقام الامامة في نية او قول او عمل ، اما المعصوم والذي صارت العصمة ملكة ذاتية واجبة فيه . فلا يمكن ان يقع منه ما ينافيها . فاحتمال الوقوع يمنع صاحبه من مقام الامامة ويخصها بالمعصوم فقط ، لكونه هو وحده مأمون الجانب دائماً . وبهذا التأمين استحق منصب الامامة الدينية في الاسلام ...

ثانياً : الافضلية . وافضليته على الامة يجب ان تكون في العالم الالهي ، وفي المجتمع الانساني ، اما سبب افضليته في العالم الالهي لانه يريد ان يقود الامة باسم الحكومة الالهية في الارض ، فلولم يكن افضل الامة عند الله واقرب الخلق

الى الله لما صح ان يحوز القيادة العامة ، لانه يلزم من ذلك تقديم المفضول على الفاضل وهو نقص يتعالى الله عنه ، وعلى هذه القاعدة ايضاً تتركز افضليته في المجتمع الانساني لاتحاد العلة فيها ، واختلاف سببي العلة لا يستوجب اختلاف العلة، فيكون علة الافضلية في العالم الالهي هي حيازته على اكثر ثواب واكبر تقدير من الله . لانه لم يشطح عن القانون الالهي طرفة عين في تمام حياته ، لا ينافي علة افضليته في المجتمع الانساني وانه اعلم الامة بالدستور وموادد . وافقهها لاصول تشريعه وعللها ، واحواها لفروع احكامه ومسائلها . .

وتقديم الافضل في المجتمع على غيره امر طبيعي تمشت عليه سيرة الهيئات الاجتماعية في الاجيال والامم ، فالشيعة الامامية لم تشذ في اتخاذها هذه المادة شرطاً اساسياً للامامة .

ثالثاً : خبرته الادارية ، ويشترط ان يكون الامام فيها مقدماً على جميع افراد امته ، لانه يريد ان يدير مملكة تختلف مناطقها الجغرافية ، كما تختلف اذواق سكانها في تحديد

الحسن والقبيح فيها ، فيلزمه في نظامه الاداري ان يكون خبيراً بالبلاد بصيراً باهلها ، وما هم عليه من الطقوس والتقاليد وما ترمز اليه تلك الطقوس من المعاني النفسية والاجتماعية ، لكي لا يخدش عاطفة في توجيه طقوسها على منهج لا يخالف روح الدستور ، فهو يطبق الدستور ويماشي الذوق العام ، وهو ينتخب لكل منطقة من بلاده موظفاً يلائم جو تلك المنطقة في السير الاخلاقي والادارة العامة . كما انه يلتقط وزراءه وقواده من عناصر قوية في الايمان بالدستور حكيمة في تنفيذ مواد ذلك الدستور ، واعية بما يحويه الدستور من الاغراض النفسية والاجتماعية ، كما يلزم منه ان يكون مطلعاً على حدود مملكته وحصونها وجيرانها وما بها من عناصر الضعف والقوة ، ومسارب الهجوم والدفاع منه عليها ومنها عليه لكي يحافظ على المملكة وحدودها بخبرة ودربة وقوة ، ولكيلا يضع امراً في داخل المملكة او خارجها في غير موضعه . ولا يلزم من خبرته السياسية والادارية خبرته بالمهن والصناعات الدارجة في مملكته ، لانه لا يريد الا ادارة

الامة وتطبيق الدستور ، وهما لا يتوقفان على غـــير الخبرة الفقهية والادارية ، فـكلما خرج منهما يكون زائداً على صفات الامامة ، وان كان ذلك صفة جمالية كمالية .

رابعاً : الاشجعية ، لان القيادة العامة لا تسند الا لمن يتمكن على حفظ القيادة العامة من هجمات الاعداء ومكائد المنافقين . والدفاع لا يتحقق إلا بالقوة . بقوة القائد العام نفسه . لان اعتماده في حفظ القيادة التي هو المسؤول عنها على غيره ربما يصطدم بارادة من يعتمد عليه في موضوع يعارض ارادته في ذلك الموضوع فاذا لم يتمكن من تأديب صاحب الارادة المعارضة وتوجيهه الى ارادته فقد اللياقة للقيادة ، والـكفاءة شرط اساسي للوظيفة وبالشجاعة النفسية والشجاعة البدنية تتحقق كفاءة القائد العام فقط ، ولذلك جعلتها الشيعة شرطاً اساسياً للامامة .

خامساً : البرهان الالهي على صحة الامامة ، ويتحقق البرهان الالهى اما بالنص ، او بالمعجزة . اما احتياجه الى

النص فلان الشرط الاول في الامامة هوالعصمة ، وهي لا تعلم بنفسها ، بل لابد ان تستكشفها بوسيلة تدلك عليها ، لانها من الكيفيات النفسية التي لا تدرك بنفسها ، وتنحصر وسيلة الادراك باخبار من يمتنع منه الكذب ، ويجب عليه الصدق في دعاواه ، وامتناع الكذب ووجوب الصدق لا يتحققان الا في المعصوم فقط ، فاذا شهد المعصوم بورود النص فيه من الله قبلت منه الشهادة وكان اماماً للامة .

واما احتياجه الى المعجزة التي هي عبارة عن خرق ناموس الطبيعة في العناصر الكونية ، فذلك انما يكون حيث لا يكون نص من المعصوم فيه ، فاذا رأينا مدعياً لقيادة الهية يؤيد دعواه بخرق نواميس الطبيعة الثابتة نعرف منه انه صادق في دعواه ، ولا يذهب عنك بان خرقه لناموس الطبيعة يجب ان يكون من غير طريق الآلة او الوسيلة المادية ، لان بها يتمكن كل شخص ان يقوم بخوارق لا يتمكن ان يقوم بها الانسان العادي ، بل اللازم لمدعي القيادة الالهية ان لا يقوم

خارقه على وسيلة مادية ، وذلك كاحياء عيسى الاموات بمجرد ندائه للميت ، او كانقلاب النار برداً وسلاماً لابراهيم بمجرد دخوله فيها بلا ان يستعين في ذلك الخارق على وسائل علمية مادية تغير طبيعة العناصر ، وكشق القمر او المعراج الجسمي لنبينا محمد (ص) بلا ان يتوسل فيهما بآلة مادية او يستند بهما على عناصر علمية تفلق القمر وتصعد به الى الافلاك النائية ، فاذا صادفت هذه المعجزة دعوة من صاحبها بالقيادة العامة الالهية ، كان المدعي صادقاً يوجب العقل اتباعه بلا تأمل ولا تردد .

اما النص فلما بينا بان السلطة الالهية لا تتأتى الا من قبل الله ، فاذا اختار الله لها احداً من خلقه كان هو المتعين لها ، والطريق الوحيد الذي يعرف الناس منه صدق التعيين هو نص المعصوم بذلك ، وقد ثبت عندنا بالقطع والضرورة بان النبي (ص) نص على علي (ع) بالامامة ، وبان علياً (ع) نص على ولده الحسن (ع) ومن بعده على ولده الحسين

عليه السلام وبان الحسين نص على ولده السجاد عليه السلام وهكذا نعلم بالضرورة نص الامام السابق على الامام الذي يتلوه حتى يصل الدور الى الامام الغائب عجل الله فرجه ، نعم قد ثبت عندنا بالضرورة تعيين هؤلاء الأئمة للامامة من طريق النص ، وبالامام الغائب ينتهي النص ، وعند ذاك اما ان نقول بان الامامة قـــد انتهى دورها ، وهو معنى يخالف قاعدة اللطف المتقدمة ، او نقول ببقائها فيه وانحصارها به وهو الذي نتوخاه .

ولا يصح أن يكون الامام معدوماً . لانعدام قاعدة اللطف الواجبة الوجود بانعدامه ، ولا تخدش غيبته اللطف الالهي ، لان اللطف الذى يتحقق به انتفاع الناس يقوم على اركان ثلاثة :

الاول : ما يرجع الى الله ، وهو خلقه للامام وايجاده له على المؤهلات التي تحتاجه ادارة الدين وشؤون المتدينين ،

الثاني : مما يرجع الى الامام نفسه ، وهو قبوله للتكليف

الالهي ، وتوطين نفسه على تحقيق مقاصد الله في البشر .

الثالث : ما يرجع الى الناس ، وهو تمكينهم الامام من ادارتهم بالانقياد له ، وتهيئة ما تحتاجه ادارته لهم من الوسائل والاسباب .

ولا شك بترتب هذه الاركان بحسب الرتبة في الوجود ، فالواجب على الله يتقدم الواجب على الامام ، وهو يتقدم الواجب على الناس ، فاذا قام الله باللطف الواجب من ناحيته ، سقط الواجب عنه ، لان ما كان يرجع اليه في اللطف قد حصل منه تماماً ، فلا يضره عدم حصوله من الامام والناس ، واذا قام الامام باللطف الواجب عليه من ناحيته سقط الواجب عنه ايضاً لانه قد جهز اللطف بما كان اللطف محتاجاً اليه من جهته . فلا يخدش لطفه عدم تمكينه الناس من ادارتهم .

ونعتقد في حال الغيبة ان اللطف حاصل من ناحية الله وناحية الامام عليه السلام ، وان كان الركن الثالث منه معدوماً فان الناس لم يمكنوا الامام من ادارتهم ، بل حاولوا

اغتياله فغاب عنهم خوفا على ضياع اللطف بضياع حياته ، منتظراً الامر الالهي بالظهور ، وذلك عند ما تتم القابليات الانسانية في البشر ، فيستحقون قيام الامام بشؤونهم قياماً تاماً خالياً من المزعجات والمعارضات .

وانصراف الامة الاسلامية عن الامام كانصراف الملاحدة عن الله لا يضر العالم الالهي فهو يسبغ عليها منه والطافه ، وان كانت منصرفة عن هذا المنعم العظيم وكانصراف الكفار عن النبي (ص) فقد قام بدعوته الناس الى الحق ، ولم يمنعه عن دعوته انصراف الناس عنه ، وكمخالفة المارقين والقاسطين والناكثين لعلي (ع) فقد قام بواجبه الالهي ، ولم تمنعه عنه مخالفة الامة ومظاهراتها عليه ، وكاتجاه العالم الاسلامي الى غير أئمتنا عليهم السلام ولم يمنعهم ذلك من نشر المعارف والاحكام الاسلامية الصحيحة ، ومن هداية العقول الى المنطق الصحيح ، ومن المدافعة عن حدود الاسلام وحقوقه في كل وقت احتاج فيه الاسلام الى المدافعة عنها ،

فانصراف الناس عن الامام لا يضر بمقام الامامة ابداً .

واما غيبة الامام . فانها لا تمس كرامة امامته عليه السلام بعد ما كان كيان وجوب وجوده يقوم على قاعدة اللطف ، فهو يرعى اللطف بوجوده الاقدس ، ولا تحجبه الغيبة عن رعايتها ، فهو كالله لا تدركه الافكار والابصار ، ولكن العقول تؤمن بانه مدبر الاكوان والافلاك ، وهو كالنبي يغيب مدة ثلاثة سنين في الغار . ولكن تعاليمه المقدسة كانت تغزو العقول والمشاعر غزو اشعة الفجر الآفاق والاقطار ، وهو كالأئمة ابائه عليهم السلام اعتزلوا الحكم الاداري ، وكانت توجيهاتهم ترعى المواكب الاسلامية الدارجة الى الكمال الانساني ، ان الغيبة لا تنافي اللطف . فالقائد العام يدرس الخطط الحربية وهو في حصنه ، ولا يحتاج تنفيذها الى ان يشاهده الجيش ، وانما يشرح الخطة لاركان حربه ليطبقها الجيش في ميادينه ، والمهندس الاول يرسم البناء وهو في فراشه من دون ان يحتاج اشادة البناية الى ان يراه العمال والبناؤن ،

وانما يوضح بعض نقاطها الدقيقة الى رؤساء العمال فقط ، ورئيس الحزب يوجه حزبه وهو فى صومعته من دون ان تحتاج ادارته الى مقابلته الحزب اومقابلة الحزب إياه . والنبي كان يفتح ابواب التاريخ على الاسلام وهو في مسجده ، وخلفاؤه كانوا يديرون العالم الاسلامي الكبير وهم فى محاريبهم ، والامام الغائب ايضاً سار على هذا المنهاج فهو يرعى المواكب الدينية وهو في عالمه المسحور ، وذلك بوسيلة نوابه الابرار ، وهم العلماء الصالحون ، الذين ارجع اليهم ادارة الشؤون الدينية ، وامر شيعته بالرجوع اليهم في مشاكلهم ، فهو كالشمس تؤثر في الطبيعة وان غطاها السحاب ، وكالجمال يجذب العواطف وان ضمه الحجاب ، فالفائدة المترتبة على ظهوره تترتب على غيبته عينا ، لان فائدة الامام ليست الا التوجيه المتسبب عن الايمان بوجوده المقدس وبقواه الالهية الخارقة لنظم الطبيعة ، وهي موجودة في غيبته كما هي موجودة فى ظهوره ، فنفس الايمان بامامته وما احتوته هذه الامامة من

عظمة الشخصية يصون المؤمن من ارتكاب المحرمات ، واقتحام الشبهات وترك الواجبات ، واني اعتقد ان الشبهة الواردة على فائدة وجود الامام الغائب قد انحلت ، او على الاقل زال تعقيدها عن الفكر الواعي والذهن الصافي ، ان شاء الله تعالى .

فلندخل الى صميم الموضوع . ولنجيب الداعي الى تأليف هذه الرسالة باسلوب سهل واضح ، فان الامام الثاني عشر ولد سلام الله عليه سنة ٢٥٥ فيكون عمره الشريف عام تأليف الرسالة الف ومائة واثنتين وعشرين سنة الامر الذي احدث لنا مشكلة الايمان بوجود هذا الانسان العجيب ، فان عمره الى الاسطورة اقرب منه الى الحقيقة ، وكيف يمكن ان يعيش انسان يسكن هذا الكوكب هذه المدة الطويلة ؟

وكيف يعيش هذا الانسان فى الناس ولا تراه الناس ؟!

وهل هناك ادلة تفيد القطع بوجوده ؟

فهناك اسألة ثلاثة يجب الجواب عنها :

اولا : كيف يعيش ابن هذه الارض هذه القرون المتطاولة ؟ !

ثانياً : كيف يعيش بين الناس ولا يحس بوجوده الناس ؟

ثالثاً : هل هناك ادلة تفيد اليقين بوجوده ؟

اما الجواب على السؤال الاول ، فنقول : ان جذور النقد فيه تمتد على قاعدة استحالة تحمّل الهيكل الانساني البقاء اكثر من العمر الطبيعي ، لان مواده الحياتية تنتهي اذا بلغت ذلك الحد ، فالجلد . والعظم . والعصب . ونظام الدورة . وعضلة القلب . واجهزة الحس والسمع والبصر . وطاقات الخيال والتفكير والذاكرة ، وغير ذلك من الحواس البارزة والخفية انما تعمل ما دامت الحياة تمدها بالحركة ، والحياة ينتهي مددها اذا انتهت الى مرحلة محدودة من العمر ، فمتى بلغته توقفت عن العمل فتعطلت الاجهزة عن الانتاج ، وبتعطلها يدب اليها الفساد والتفسخ والتلاشي ، كما عليه سنة الطبيعة في الاحياء والاموات ، وعلى هذا النظام الحياتي المقرر ، كيف يمكن

للانسان ان يهدم حدود الطبيعة ، ويفسد نظام الحياة ، ويتجاوز الحد المقرر للاعمار بمسافات تعادلها مرات ومرات

وهنا نسائل هذا الناقد البارع عن هذا الحد المقرر للعمر وانه هل هو نظام ثابت مركز في الطبيعة ، بحيث لا يتمكن أي فرد من افرادها ان يهدمه ويتجاوز الحد المقرر له فيها ؟ وعلى تقدير ذلك لا بد وان يكون سببه انتهاء المادة الحياتية فيه اذ هي اشبه ما تكون بزيت السراج الذي بانتهائه ينطفي السراج ، وهكذا الانسان بانتهاء مادة الحياة فيه ينتهي عمره في الحياة فيموت .

اعتقد بان الناقد المحترم لا يمكنه ان يقرر ثبوت هذا النظام وتركزه ، بحيث لا تتمكن الانسانية ان تجتازه ابداً ، لانه اذا راجع دراسات فسلجة البدن الانساني ، وكيف يحتوي هذا الوجود المعقد على اجهزة الخلود ، فجهاز الخلايا يوجد الخلايا ويعدمها باستمرار من دون ان يتأثر جهاز الايجاد والاعدام بالعمل بتاتاً ، لانه حاز على طاقة لا تتناهى فعاليتها

ومواده ، فله قابلية الايجاد والاعدام للخلايا ابداً ، كما انه لا يحتاج الى تزييت وتنظيف ، وآلاته مستغنية عن الاصلاح والتبديل ، اذ هو يعمل ويعمل باستمرار ، وان في عمله تنظيفه وتزييته وتقوية آلاته العاملة . فما دام العمل موجوداً كانت صلاحية الجهاز للخلق والابادة موجودة فيه ، ولا يتعطل هذا العمل الجبار الا بعارض خارجي يصدمه فيتوقف جهازه عن الانتاج ، والا فما دام العمل محصناً عن الحوادث سارت اعماله التوليدية منتظمة دارجة ، وأما جهاز عضلة القلب هذا المنجم الثرى الذي لا تفنى كنوزه ، ولا تبيد ثروته ، هذه المادة الجبارة التي تضمن الخلود او يضمنها الخلود ، هذه المادة اذا كانت محروسة من الاحداث الطارئة عاشت مع الحياة ابداً ، حسب تقرير علماء الفسلجة ، وعلى ما قررنا ينعدم هذا الحد الموهوم من اساسه ، لان الانسان اصبح بموجبه قابلا للبقاء الابدي ، لانه مخزن مشحون بمواد الخلود والابدية .

نعم يبقى لديه نقد موجّه ، وهو انه لو صح ما ذكرناه للزم ان لا يموت انسان ابداً ، لانه مجهز بالمواد المضادة للموت بينما نرى السلالات البشرية تعيش وتموت في القرون ، حيث تكتسحها الحوادث الزمنية التي لا يخلو منها زمان ولا مكان في هذا الفلك الارضي ، وعليه كيف عاش الامام الغائب هذه المدة الطويلة ، وهو انسان يعيش في دنيا الحوادث والمفاجئات

ان النقد وجيه جداً ، بل هو النقد المعقول لمشكلة الامام الغائب ، لولا اننا نجابه هذا الناقد المحترم بسؤال لنا الحق في القائه عليه ، وهو انه هل يعترف ناقدنا العزيز بانا نرى في هذه الدنيا الهادرة بالكوارث الماحقة فصائل من الحيوانات تعيش آلاف السنين ، وتجتاز القرون والاجيال بين ركام الامم وذرات الاحياء المائتة بحياة سالمة من الاعراض والامراض ؟! لا شك بانه سيعترف لي بذلك بعد ما يراجع معاجم الحيوان ويستعرض صورها المنقوشة فيها ، ويدرس اسلوب حياتها واطوارها والموادالتي تقتاتها ، كما سيعترف لي ايضاً

بان بقاء هذه الحيوانات انما تسبب عن وجود قابلية الحياة الطويلة في هياكلها ، ولذلك تعيش بسلامة وسلام فى عالم يموج بالاموات والذرات . وليست تلك القابلية الا الطاقة المقاومة لهجمات الابادة فى الطبيعة التي تهاجم الاجسام الحية بقواها الخفية . فاذا فرضنا ان الذي حصّنها بتلك الطاقة المانعة حصّن احـــد البشر بجهازها الواقي جهز اعضاءه وانسجته واعصابه وساير مواد جسمه به ، فاستودع فيه من المناعة ما استودعه فيها . لا شك بانه سيعيش كما عاشت ما دامت فيه مناعة تحمي وجوده من العدم . وتصون مواد جسمه من الابادة والتلاشي .

ولا تنقد هذه النظرية بان هيكل الانسان لا يصلح لقبول هذه المادة . فانا نجيبه بان تفاوت اعمار البشر . هذا التفاوت الظاهر دل على قبول جسم الانسان لمادة الحياة الطويلة . اذ بينما نرى الشاب النشيط يصرعه مرض وهو فى عنفوان قوته وفتوته ، نرى الشيخ الهم يصرع ذلك المرض وهو فى

نهاية ضعفه وانحطاطه ، فلابد وان تكون لهذا النصر والتلك الهزيمة علة معقوله . واعتقد بان العلة المنحصرة فيه هي قوة مادة الحياة فى الشيخ وضعف تلك المادة فى الشاب ، فالشيخ يصرع المرض بقوة مادته الحياتية . والفتى يصرعه المرض لضعف تلك المادة فيه . واذا صح حلول تلك المادة فى الانسان صح ان يتجاوز الانسان بها الحدود المعتادة للعمر مهما كانت تلك الحدود مستحكمة فى نظر العرف العام . وكلما ازدادت فيه مادة الحياة ازدادت سنين عمره طولاً . وهكذا نتمكن ان نمد عمر الانسان ونطيله الى اي حد شئناه ، ما دام هنالك مادة حياتية تضمن الطول للعمر ، واعتقد باننا قد اجبنا السؤال الاول فى مرحلة الثبوت والامكان .

واما الجواب عنه في مرحلة الوقوع والاثبات فاحيله الى معاجم المعمرين وتراجمهم ، هؤلاء الافذاذ الذين هزؤا بالحوادث الزمنية . وبالحدود المفروضة لاعمار الانسان . فانه سيجد لهم فيها قصصاً طريفة واخباراً لذيذة .. وان عصرنا

الذري المشحون بالمفاجآت والطوارئ المبيدة ، ليحوي من هؤلاء الافذاذ عدداً لا بأس بكميته ، تمكنت ان تقطع اشراك الحوادث المنتثرة في طريق الحياة العصرية في كل مكان . وان تجتاز الحد الطبيعي للعمر بصحة وقوة ، وها هي المجلات الشرقية والغربية تتحفنا بين الفينة والفينة برسوم . واخبار هؤلاء العالقة المعمرين .

واما الجواب على السؤال الثاني . وهو انه كيف يعيش بيننا في هذا الكوكب ونحن لا نشعر بوجوده فينا .

فاقول : بان السائل المحترم لو تأمل في موضوع سؤاله قليلا لعرف مثلي بان الامام عليه السلام يعيش على هذه الارض مع البشر ، يعيش بمواد اعاشة البشر ، يعيش وهو يشاهد الاجيال البشرية ، ويحس بحركاتهم ويسمع اقوالهم ، ومع ذلك لا يحس البشر بوجوده ، ولا يسمع منه كلامه ، والسبب الوحيد لذلك هو قصور البشر عن مشاهدة امثاله من الاحياء الذين يعيشون في عالمهم المستور ، لانه مما لا ريب فيه ان

التقدم العلمي في الطبيعة ما زال في بداية بدايته بالنسبة الى ما استودع الله في هذا الكون العجيب من الحقائق والاسرار فالانسان بالرغم من تقدمه في ميادين الاكتشاف والاختراع وفي تمكنه من تسخير قسم مهم من القوى المستودعة في الطبيعة . لا زال هذا الانسان قاصراً تماماً عن وقاية نفسه من الحوادث العادية في الطبيعة فالشيخوخة تلعب دورها في اعضائه ، والموت يعصف كل ثانية بالآلاف من ابنائه . بل لا زال هذا الانسان العالم عاجزاً عن الدخول الى قسم كبير من هذه الارض التي يعيش فيها . فهناك في قطبي الشمالي والجنوبي لا زالت مناطق لم يتمكن العلم من تزويد العلماء بوقاية تعصمهم من العواصف الثلجية والانواء الجوية فيهما ، وان القطبين معروضان امام كل من يريد ان يزورهما ، وما سبب ذلك الا ضعف العلم عن مصاولة طبيعة القطبين ومصارعة جوهما المشحون بالاسرار ، فاذا كان العلم قاصراً عن حل ابسط مظهر من مظاهر الطبيعة ، وهي سطحها الخالي من المعارض ،

فان قصوره عن الوصول الى اغوار الارض وآفاق الجو ، واعماق البحار ، والى ما استودع في عالم التكوين من الاسرار والاخبار امر لا يقبل الجدل والترديد ، ان العلم كما قلت لا زال في بداية الاكتشاف . وان العالم ما زال مشحوناً بالمواد الخفية،وان من الاسرار المستودعةفيه وجودات حية تعيش على الارض ولا يحس بها ابناء الارض ، تعيش عليها وهي مصونة بطاقات تخفيها عن عيون الناظرين ، وتحفظها عن فضول الباحثين عن خفايا هذا الكون ، واعتقد بان مؤلف الف ليلة وليلة لم يشذ في تفكيره عن الحقيقة حينما صور له خياله الواسع طاقية الاخفاء ، وكيف انها تحجب لابسها عن العيون ، فاني انتظر ذلك اليوم الذي يلبس البشر فيه تلك الطاقية ، كما اني انتظر اليوم الذي يكتشف فيه العلم المادة التي تصرع مادة الاخفاء فيها ، وليكن الامام الغائب يعيش في ذلك الجو وهو مصون بمادة الاخفاء ، يعيش في عالمه المستور فيرانا ولا نراه ، ويوجه مواكبنا الى الحياة الصحيحة ولانحس

به ، ومتى تمكن العلم من الاحاطة بخفايا الطبيعة ، واكتشف اسرار الحياة كلها ، فليحاسبني الناقد المحترم على وجود هذا الانسان الغائب الحاضر ، وعند ذاك اما ان ادله اليه ، فيؤمن معي بوجوده المقدس ، او يدلني على خطأي فاصحب موكبه الطالع الى الحياة المتحررة عن الايمان بالغيب واعتقد بان فيما ذكرت كفاية عن الاطالة في الجواب عن السؤال الثاني .

واما الجواب عن السؤال الثالث ، وهو عرض الادلة التي توجب اليقين بوجود الامام الغائب فاعتقد بان الخوض فيه تطويل بلا طائل . وذلك لان اكثر المؤلفات الباحثة عن موضوع الامام الغائب تدرسه على ضوء الاحاديث الوارد فيه سلام الله عليه . اذ هي تسجل لنا من الاحاديث المروية عن الفريقين كمية وافرة توجب القطع بوجوده الشريف لكل مسلم يستعرضها ويعيها ، وان في كتاب (منتخب الاثر)

لمؤلفه العلامة البحاثة شيخ لطف الله الكلبايكاني نزيل قم غنى وكفاية عن غيره ، فانه ايده الله قد شحن المهم من تلك الاحاديث بعد ان رتبها وبوبها وهذبها باسلوب ماتع رايع تريح الباحث عن عشرات الكتب في هذا الموضوع .

والحقيقة ان موضوع الامام الغائب من مواضيع الدين المحورة عن وعي الفكر البشري ، ومتى تمكن الفكر الانساني ان يحتل هذه القلاع المحصنة بالقوى الالهية ، ونواميس ما وراء الطبيعة ، يتمكن من حل مشكلة الغيبة حلا واقعياً ، والا فان ما ترسمه الاقلام ليست إلا صوراً باهتة لظلال فكرية لمحتها فرسمتها ، واما الحقيقة فما زالت في عالمها المستور لا يعرفها إلا الله الخبير البصير بكل الامور .

اما العلامات المجعول منهم عليهم السلام والتي يستدلون بها على قرب ظهوره او على ظهوره سلام الله عليه ، فانها كالغيبة رموز مجهولة مرنة مطاطة قابلة للانطباق على كل عصر من العصور الاسلامية ، ولذلك رأينا كثيراً من المشعوذين

يتخذون منها ذريعه للبلوغ الى اغراض مادية ردية ، فحصر العلامات بعصر مخصوص ، وزمان معين يزلزل الايمان ، ويضعضع العقيدة بوجوده المقدس ، بل كل ما يجب علينا نحن الشيعة الامامية ان ننتظر ظهوره ابداً . وان نتوجه اليه عليه السلام بمشاكلنا الدنيوية والاخروية ليسأل الله حلها ، ولا شك بان المؤمن اذا اخلص النية وتوجه الى الله مستشفعاً بوسيلته اليه نال مبتغاه وادرك مناه .

اللهم انا نشكو اليك فقد نبينا وغيبة امامنا ، وجهالة امتنا ، وفشل اعمالنا وخيبة آمالنا ، وتمزيق صفوفنا ، واختلاف كلمتنا ، وكثرة متاعبنا . وقلة وسائلنا وقوة اعدائنا وضعف قوانا . اللهم انا نسألك الفرج فعجل لنا الفرج بظهوره آمين يا رب العالمين .

٢٠ صفر المظفر ١٣٧٨

النجف الاشرف — محمد جمال الهاشمي